

## أوقاف أهل الأندلس بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني

### فلة القشاعي موساوي

تشكل أوقاف الأندلسيين بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني إحدى المؤسسات الوقفية المتميزة، وهي مع تواضع عدد أوقافها وقلة مردودها وتناقص الأسر المنشئة لها، إلا أنها تبرز جانبا مهما من الحياة الاجتماعية بمدينة الجزائر، فهي تظهر لنا طبيعة البنية الاجتماعية لسكان المدينة من حيث أصولهم ووضعه الاجتماعي وقدراتهم الاقتصادية.

لقد حافظت جماعة الأندلس على تماسكها وأصبح لها في موطنها الجديد مسجدا خاصا بها يعود بناؤه إلى سنة 1033هـ /

1633م وزاوية ملحقة به وأملاكا موقوفة باسمه تجاوز عددها المائة (40 وقفية و61 عناء أي ما يعادل 101 وقفا)، وقدرت مداخيلها بما لا يقل عن 4000 فرنك (سنة 1830م).

وفي هذا الإطار نحاول في مداخلتنا هذه التعرف على أوقاف الأندلسيين بمدينة الجزائر من خلال وثائق الوقف الخاصة بها (سجلات البايليك ووثائق المحاكم الشرعية)، ويمكن الرجوع في ذلك إلى بعض التقايد الخاصة، بهدف استكمال الجداول والبيانات والاحصائيات المستخلصة من وثائق الوقف المتعلقة بجماعة الأندلس، وبذلك يمكن لنا أن نتعرف عن كثب على حقيقة التركيبة الاجتماعية والوضعية الاقتصادية، ونستطيع أن نرصد التأثيرات التي خضعت لها جماعة الأندلس والتي عملت على دمج أفراد هذه الطائفة في المجتمع المحلي. كما تطمح مداخلتنا أيضا إلى التعرف أكثر على القدرة الاقتصادية التي كانت تتمتع بها جماعة الأندلس والعلاقات الخاصة التي كانت تربطها بمختلف الجماعات التي يتشكل منها المجتمع المحلي لمدينة الجزائر العثمانية.

## **Les waqfs des Andalous à Alger**

**Fella El-KACHAI-MOUSSAOUI**

Les waqfs établis par les Andalous à Alger pendant l'époque ottomane étaient regroupés dans une fondation communautaire spécifique. Et malgré le nombre relativement réduit des biens waqfs qui y étaient rattachés, la faiblesse de leurs revenus et, surtout, la baisse constatée du nombre de familles andalouses bénéficiaires des revenus de ces biens, les waqfs des Andalous éclairent un pan important de la vie sociale locale dans la ville d'Alger. Ils nous permettent d'identifier les origines sociales et ethniques, les statuts sociaux et le pouvoir économique des groupes de la population algéroise.

Ainsi, la communauté andalouse qui a su préserver sa cohésion dans sa nouvelle patrie, a fondé sa propre mosquée et une zaouia annexe en 1033/1633. Ces deux établissements disposaient de 101 biens waqfs (40 waqfiat et 61 anâ), selon le recensement de 1830, qui fixa le niveau de leur revenus à 4000 francs.

Ces biens waqfs peuvent être approchés par le biais de leurs documents de waqf conservés par les registres de Beylik, de mahkamas et parfois même par des inventaires particuliers.

Les indications que nous pouvons en tirer, organisées selon des tableaux, des graphes et des statistiques, renseignent sur l'organisation sociale, la situation économique et les influences et mutations qu'a connues la communauté andalouse d'Alger dans son évolution vers l'intégration dans la société locale, sa force économique et le type de relations qu'elle entretenait avec les différents groupes humains composant la société algéroise.

## أوقاف أهل الأندلس بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني

فلة القشاعي موساوي

تتطرق مداخلتنا هذه إلى أوقاف الأندلسيين بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني، وذلك من خلال وثائق الأرشيف الجزائري، حيث تضع هذه الوثائق، في متناول المؤرخ أو بالأحرى الباحث والجامعي، مجموعة هامة من المعلومات التاريخية التي تطرح بدورها إشكالية البنية الاجتماعية لمدينة الجزائر، وما يرتبط بها من نوعية النشاط الاقتصادي وخصوصية الممارسة الثقافية والحياة الدينية، وذلك أثناء الفترة الممتدة من القرن السابع عشر وحتى الربع الأول من القرن التاسع عشر.

ولعل استغلال الأرشيف في مثل هذا الموضوع وإن كان عملية شاقة وصعبة، إلا أنه يشكل منهجا صحيحا ودقيقا لجمع المادة الأولى والضرورية والأساسية لإنجاز أي بحث أكاديمي، فاستغلال وثائق الأرشيف. يمكن الباحث من العثور على معلومات قيمة تمكنه من الوصول

إلى معطيات تاريخية، مهمة قد يستحيل عليه العثور عليها من خلال رجوعه لمصادر ومراجع تقليدية سهلة التناول وقرية المنال.

هذا بالإضافة إلى أن الأرشيفات تمكننا من طرح إشكاليات مختلفة ذات وجهة نظر جديدة، وإعادة اعتبار مراجعة وتحوير ما تعودنا الرجوع إليه من معلومات تاريخية تقليدية.

ففي هذا الإطار، تكتسي الوثائق الخاصة بأوقاف الأندلسيين بمدينة الجزائر، والمودعة بالأرشيف الوطني الجزائري أهمية خاصة وذلك نظرا لما تزخر به من معطيات حول الواقع الاجتماعي والاقتصادي لطائفة الأندلسيين بمدينة الجزائر، فالأوقاف التي كانت تسيرها أو تشرف عليها كان مردودها يخصص للإنفاق على المكلفين بالتعليم والشعائر الدينية، بالإضافة إلى ما كان يرصد لسد حاجيات أبناء السبل والفقراء والمعوزين.

إن ما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد، هو كون الجالية الأندلسية كانت تتمتع دون غيرها من الجاليات الأخرى بأوقاف يصرف مردودها على أفرادها، ويفسر ذلك بالظروف التي عاشتها الجالية الأندلسية بالجزائر، بعد أن تعرضت للاضطهاد بالأندلس، حيث ارتبط وجودها بالجهات الساحلية للبلاد الجزائرية، حيث هيكلت نفسها وفقا للنمط الاجتماعي التي كانت عليه في موطنها الأصلي، ونظمت نشاطها الروحي، الثقافي والاقتصادي، حسب ما تعودت عليه بالأندلس.

لقد أصبحت المجموعات الأندلسية تمتلك على ثروات هائلة، نتيجة تحالفها مع المسيرين العثمانيين وحصولها على الإمتيازات المترتبة عن

ذلك من خلال نشاطاتها الصناعية والتجارية والتي مكنتها من تخصيص الأوقاف للإنفاق على الفقراء من أفرادها، كما وقفت بعض أملاكها على الحرمين الشريفين تعبيراً على ارتباطها الروحي بالأماكن المقدسة بالحجاز.

ولعل ما يهمنا في مداخلتنا، هو الوثائق الخاصة بنشاط الجالية الأندلسية، المحفوظ بها على مستوى مؤسسة الأرشيف الوطني الجزائري، وهي سجلات أو دفاتر البايليك، بالإضافة إلى مجموعة الوثائق الشرعية، وهي عبارة عن أوراق ولفافات تضم تسجيل عقود، عمليات بيع وشراء وتحرير تركات وفصل منازعات وإصدار فتاوي وتعيينات في الوظائف الرسمية وتسيير أملاك اليتامى، بالإضافة إلى مراسلات وفصل دعوات وتسجيل وكالات، وإقرار الوصايا وأحكام مخالعة تطبيق وتقسيم عقار وغيرها.

هذا، وتحيطنا هذه الوثائق علماً بمدى تنوع الأملاك المحبوسة، حيث كانت تشمل بعض الحمامات بالإضافة إلى العيون والكوشات والمخازن والأسواق والحوانت، إضافة إلى خلو طحطحات بالريالات أو الدنانير الذهبية، وبالتالي تضم هذه الأرشيف، مبالغ الكراء، الشراء أو الخلو، مع ملاحظة «خلص الفاضل القابض ...».

هذا وتعود بعض وثائق أوقاف أهل الأندلس إلى نهاية القرن السادس عشر، كما تدل على ذلك وثيقة شراء حانوت وتحبيسه من طرف أندلسي يدعى الطويل محمد الحداد.

أما الإشكال المطروح فهو: متى تم الاهتمام بأرشفة أوقاف الأندلسيين بالجزائر؟

لعل أول مبادرة في تصنيف وترتيب عقود أوقاف الأندلسيين، تعود، كرونولوجيا إلى Devoulx الذي وضعها في المرتبة الرابعة من حيث أهميتها، عدد أوقافها ودخلها الذي قدره آنذاك بـ 4000 فرنك.

(أنظر: "Edifices Religieux de l'Ancien Alger", In Rev. Afr. (Année 1868

وفي هذا المجال يجب الإشارة بجهد كل من أستاذنا الفاضل عبد الجليل التميمي، الذي كرس وقتا طويلا للتعرف والتعريف بهذه الأرشفة الخاصة بالوقف، وكذلك أستاذنا الكريم، ناصر الدين سعيدوني الذي تصفح وثائق 111 علبة من مجموع 152، وأجرى جردا لكل الوثائق الخاصة بنشاط الجالية الأندلسية في الأرياف والحوضر.

إنّ طرح مثل هذه الإشكالية، يعتبر مبادرة متواضعة جدا لمحاولة تحديد دور الأوقاف الأندلسيين بالجزائر، عسى أن يكون ذلك دافعا للباحثين للتعمق أكثر في هذا الموضوع، وحتى نعطي للقارئ فكرة عن وثائق وقف الأندلسيين، فإننا نثبت هنا إحدى الوثائق التي عملنا عليها والتي مكننا من الاطلاع عليها الأستاذ ناصر الدين سعيدوني.

